خطبة بعنوان: أسرار في الأمراض

يوم الجمعة: ٠١/٠٧/١٤٤٠هـ لفضيلة الشيخ الدكتور/ عبد العزيز بن أحمد البداح

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا . ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢]﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد...

فيا أيها المسلمون... يبتلي الله من يشاء من عباده عدلًا، ويعافي من يشاء فضلًا، وكلهم يتقلبون في مشيئته بين فضله، وعدله. لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه. آمنا بذلك كله، وأيقنا أن كلًا من عنده.

أيها المسلمون... ومن أنواع البلاء الإصابة بالمرض ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٥] ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا... ﴾ [البقرة:٢١٤]

أيها المسلمون... على العبد المؤمن أن يعلم إذا أصابه المرض أن الله رحيمٌ بعباده لطيفٌ بخلقه ﴿... كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ... ﴾[الأنعام:٥٤] ﴿... وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ... ﴾[الأعراف: ١٥٦] ﴿... رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا... ﴾[غافر:٧] ﴿... وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[الملك: ١٤]﴿... إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۚ... ﴾ [يوسف: ١٠٠] ﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ ۚ... ﴾[الشورى: ١٩] روى مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قال:((إن الله لما خلق الخلق كتب كتابًا، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي، وفي رواية "غلبت غضبي"))، وعند مسلم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنها قال: قدم سبيٌ على النبي ﷺ فإذا امرأةٌ تسعى فرأت صبيًا، فأخذته، وألصقته ببطنها، ثم أرضعته فقال النبيﷺ :((أترون هذه الأم طارحةً ولدها في النار؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال ﷺ: لله أرحم بعباده من هذه الأم بولدها)).

أيها المسلمون... على العبد أن يعلم إذا أصابه المرض أن الله تعالى لا يريد به إلا خيرًا. روى مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قال:((إن أمر المؤمن كله له خير؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له، وليس ذلك إلا للمؤمن)).

أيها المسلمون... إذا أصاب العبد المؤمن المرض فعليه أن يعلم أن في ذلك تكفيرًا لخطاياه، وحطًا لسيئاته. روى البخاري أن النبي ﷺ قال:((ما يصيب المؤمن من وصبٍ، ولا نصبٍ، ولا همٍ، ولا حزنٍ حتى الشوكة يشاكها إلا كفَّر الله بها من خطاياه))، وعند البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال:((ما يصيب المسلم من أذى من مرضٍ فما سواه إلا حط الله به من سيئاته كما تحط الشجرة ورقها))، وروى الإمام أحمد أن أبا سعيدٍ الخدري - رضي الله عنه - قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال:((يا رسول الله أرأيت هذه الأمراض التي تصيبنا ما لنا بها؟ فقال النبيﷺ: هي كفارات –يعني كفاراتٌ للذنوب - قال أبي بن كعبٍ: يا رسول الله ، وإن قلت فقال النبي ﷺ : الشوكة فما فوقها)).

أيها المسلمون... على العبد المؤمن أن يعلم إذا أصابه المرض أن في ذلك تكثيرًا لحسناته، ورفعةً لدرجاته. روى مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قال: ((ما يصيب المؤمن من شوكةٍ فما فوقها إلا كتب الله له به درجة))، و عند أبي داوود أن النبي ﷺ قال: ((إن العبد المؤمن يكتب الله له المنزلة لا يبلغها بعمله فيبتليه في جسده أو ماله أو ولده، ثم يصبره على ذلك حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له)).

أيها المسلمون... على العبد المؤمن إذا أصابه المرض أن يعلم أن ذلك سبيله إلى الجنة، وقائده إلى رضوان الله تعالى. روى البخاري أن النبي ﷺ جاءته امرأةٌ فقالت:" يا رسول الله إني أُصرَع فادع الله تعالى لي. فقال النبيﷺ: ((إن شئتِ دعوت الله لكِ، وإن شئتِ صبرت ولك الجنة)).

أيها المسلمون... على العبد المؤمن أن يعلم إذا أصابه المرض أن ذلك تخليصًا له من النار وعذابها، جاء عند الترمذي أن النبي ﷺ عاد مريضًا، ومعه أبو هريرة - رضي الله عنه - فقال النبي ﷺ :((أبشر فإن الله تعالى يقول: هذه ناري -يعني الحمى- أسلطها على عبدي المؤمن لتكون حظه من النار))، و جاء عند الطبراني في الأوسط أن النبي ﷺ قال:((الحمى حظ العبد من النار)).

أيها المسلمون... والمؤمن إذا أصابه المرض فإن ذلك يقوده إلى عوائد وفوائد تعود عليه بالخير في دينه وآخرته، فمن ذلك أنه يلجأ إلى الله تعالى، وينيب إليه، ويدعوه، ويطرح بين يديه، ويكون ذلك بابًا من أبواب التوبة والإنابة، والتخلص من المآثم، والخروج من المظالم. روى البخاري في الأدب المفرد أن سلمان الفارسي - رضي الله عنه - عاد

مريضًا فقال له :"أبشر فإن المرض يجعله الله للمؤمن كفارةً ومستعتَبًا، وإن المرض يجعله الله للفاجر كالبعير يقيده أهله ثم يرسلوه، فلا يدري لم عُقل ولم أُرسل؟".

أيها المسلمون... على العبد المؤمن إذا أصابه المرض أن يعلم أن الله رحيمٌ به، لطيفٌ بحاله، فيرضى، ويسلم، ويحمد الله على ذلك ويشكره، ويعلم أن عِظَم الجزاء مع عِظَم البلاء، وأن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم، وأن أشد الناس بلاءً هم صفوة الخلق، وأفضل الناس، وهم الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل. يُبتلى الرجل على قدر دينه.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، وتقبل الله مني ومنكم تلاوته إنه هو السميع العليم، أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه من كل ذنب إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيمًا لشانه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا...

اعلموا رحمكم الله أن الله أمركم بأمرٍ بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته، وثلث بكم أيها المؤمنون فقال جل من قائلٍ عليمًا ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[الأحزاب:٥٦]

اللهم صل وسلم وزد وبارك على عبدك ورسولك محمد، وارضَ اللهم عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء أبي بكرٍ وعمر وعثمان وعلي، وعن الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنَّا معهم بمنك وكرمك وجودك وإحسانك يا رب العالمين.